العدد العاشر
تشرين الاول (اكتوبر)
السنة الثامنة

No. 10 Oct.
8ème année

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et
directeur
SOUHEIL IDRISS

الأدب والحياة

بقلم الدكتور سهيل ادريس

يحار احدنا غالبا في تعليل اسباب اعجابه باثر ادبي يقرأه فيشعر له بنشوة روحية ولذة ماتعة ، ثم لا يجد الا ان يجمل اسباب هذا الاعجاب بقوله : « ان هذا الاثر ينبض بالحياة . »

والحق اننا حين نصف قصة او رواية او قصيدة بانها تنبض بالحياة ، فانما نشير الى الميزة الكبرى التي ينبغي ان تتوفر في اي اثر ادبي ، اننا نطلب من الادب ان يعبر لنا عن الحياة التي نعيشها ، ان يحللها ويتعمقها ويكشف لنا اسرارها وخباياها ، لنزداد وعيا بها واستمتاعا . ومن اجل هذا نرانا نطرح الكتاب الذي لا يحرك في نفوسنا اوتار الحياة ، ونصفه بالبلادة والتكلف ، ونتهمه بالعقم والجمود . ولهذا لا نستطيع الا ان نقر هذا التعريف البسيط للاديب بانه انما هو الحياة حقا .

والواقع ان هذا التعريف ، على بساطته ، يحتوي جميع العناصر التي تكوّن العلاقات القائمة بين الادب والحياة . ولا ريب في ان اهم هذه العناصر هي التجربة البشرية . فلكي يكون الادب نابضا بالحياة ، فلا بد من ان يعكس تجربة او مجموعة من التجارب الانسانية التي يعانيها الاديب في حياته ، او في حياة من يعايشهم من البشر . وهذا يعني ان من ضرورات النضج الادبي غنى التجربة البشرية ، وان اكثر الادباء ابداعا انما هم الذين كانوا اغناهم معاناة للحياة وتجربة للعيش . وبوسعنا ان نستشهد هنا بفولكنر وهمنغواي وسارتر وكامو .

بيد ان ذلك لا يعني ان الاديب لا يبلغ الابداع الا اذا عاش التجربة واقعا وحقيقة . فهو قد يقبس من الحياة صورا جامدة او يتخيل اشخاصا غير احياء ، ثم يدخل ذلك كله الى مختبره النفسي والشعوري ، ويعيّش هؤلاءالابطال في ذهنه وقلبه ، فلا يلبثون طويلا حتى ينتفضوا ويرتعشوا بالحياة ويعيشوا عيشة سوية لا تختلف من عيشة الاحياء الحقيقيين . حتى ان كثيرين من الروائيين قد صارحونا في مذكراتهم بان عددا من ابطالهم الذين خلقوهم خلقا في بعض رواياتهم قد تمردوا عليهم في مواقف كثيرة من مواقف الرواية ، وخرجوا عن الخط الذي رسموه لهم، ليحيوا حياتهم الذاتية ويسلكوا سلوكهم الشخصي . وهكذا يقسر الابطال خالقيهم على ان يقبلوهم كما هم ، وكما توحي لهم الحياة ، لا كما كانوا يريدون ان يرسموهم . واي دليل انصع من هذا على حيوية هؤلاء الابطال ؟ .

وهنا نجد العنصر الثاني في العلاقة بين الادب والحياة. انه عنصر احتمال الوقوع ، لا الواقع بالذات . فليس من الضروري ان تقع التجربة البشرية حقا لتصلح مادة للادب، وانما يكفي ان تكون محتملة الوقوع . وهذا لا ينفي ان يكون الحدث مستمدا من الحياة ذاتها ، فليس احتمال الوقوع ، في نهاية المطاف ، الا تقليدا لواقع حدث فعلا في السابق ، او ارهاصا بواقع لا بد ان يحدث . بحسب الروائي الحقيقي احيانا ان يعرف حدثا واحدا لانسان يعرفه حتى يستمد من هذا الحدث خطوط رواية كاملة لهذا الانسان في سلوكه كله، ابتداء من هذا الحدث او انتهاء به. المهم في الامر الا يخرج الكاتب ، حين ينشيء ادبه، عن حدود الاحتمال . وهو في هذه الحالة يظل مستمدا ادبه

من الحياة ، ولا تختلف التجربة المتخيلة عنده عن التجربة المعاشـــة حقا .

وهذا ما يطرح الان سؤالا هاما عن علاقة الادب بالواقع : هل يكفي الاديب ان يصور الواقع حتى ينتج ادبا ذا قيمة ؟ وبعبارة اخرى ، هل الادب هو الواقع ؟

الحقيقة ان الواقع ليس هو الحياة . واذا ارتضينا تعريف الادب بانه الحياة ، فنحن نرفض ان نعرّفه بالواقع، لان الحياة اشمل واعمق من الواقع . ان الحياة مجموعة عناصر فيها المادي البحت، وفيها النفسي والروحي والخيالي . وليس اديبا من يكتفي بنقل الواقع وتصويره كما هو . انه ان فعل ذلك كان راوية او ناقلا او صحفيا . اما الاديب فهو الذي يختار من الواقع ما يصلح مادة للادب ، ما يصلح لان يكون فنا .

والفن يتطلب تحويرا في الواقع ، وتجاوزا للحياة لا الى ما هو مثالي وانما الى ما هو اكثر حياة من الحياة نفسها ، الحياة التي تحتمل كل شيء ، لان الادب لا يحتمل كل شيء . من هنا كانت المآخذ التي توجه الى المذاهب الواقعية التي تفرط في تصوير الواقع ، من غير ان تأخذ الفن بعين الاعتبار ، الفن الذي يتطلب الاختيار والانتخاب والتحوير .

ويحدث ان يأخذ ناقد على كاتب ان اثرا ما من آثاره مصطنع او غير واقعي . ثم يظن هذا الكاتب انه سيفحم ناقده اذا قدم له الادلة والحجج بان ما صوره في ذلك الكتاب ، انما وقع فعلا في الحياة ، وان ابطاله مثلا لا يزالون احياء يرزقون ، وبوسعهم عند الحاجة ان يشهدوا بصدق الرواية . ونحن نعتقد ان هذه الحجة غير مقنعة، لان ما يحدث في الحياة لا يصلح كله ان يكون مادة فن وادب ، كما ان ما لا يحدث في الحياة ، قد يصلح لان يكون مادة فن وادب ، المهم في الامرين جميعا ان يكون ما يصوّر ويوصف ذا دلالة ومغزى ، وان يحمل في ثناياه طاقة ايحائية تهز ضمير الكاتب وتبث في نفسه رعشة فنية ، وحسا جماليا . وقد يبلغ حلم خيالي عذب لم يعشه الكاتب الا في ذهنه ان يكون اشد اثارة لهذا الحس الجمالي وتلك الرعشة الفنية من واقعة حقيقية سجلتها الاحداث اليومية . ومن هنا كانت براعة الاديب الذي يختار من الاحداث والوقائع التي يعيشها ابطاله ما يوحي ويؤثر ويهز ، ويستبعد منها الجامد البليد ، ثم يعمد الى الخيال

صدر حديثا

سلسلة مراحل القراءة

تأليف جماعة من المربين

احدث سلسلة لتعليم اللغة العربية في الصفوف الابتدائية وفق احدث الاساليب التربوية . تتألف من جزأين لروضة الاطفال وخمسة اجزاء لطلاب الصفوف الابتدائية ، وتمتاز بحسن التدرج وبراعة الاختيار ، وجمال الصورة ، وروعة الاخراج.

الناشر : لجنة التأليف المدرسي ـ بيروت

صدر حديثا

جغرافية العالم

سلسلة حديثة مصورة في الجغرافية لمرحلة التعليم الثانوي

تقع هذه السلسلة في اربعة اجزاء ، وهي معدة للتدريس في الصفوف الثانوية في لبنان وسائر العالم العربي.

وهذا الكتاب باجزائه الاربعة مأخوذ من كتاب « العالم » الذي وضعه الجغرافي الانكليزي الشهير دادلي ستامب . وليس بين اساتذة الجغرافية المعاصرين من لم يتتلمذ على مؤلفاته او لم يفد من تحقيقاته الجغرافية . وهذه هي المرة الاولى التي ينقل فيها كتابه « العالم » الى العربية ، بعد ان اجريت فيه تعديلات مختلفة . وقد تولى المؤلف بنفسه اضافة بعض الفصول بناء على طلب لجنة التأليف المدرسي ليأتي الكتاب متلائما مع المنهاج اللبناني الرسمي.

الناشر : لجنة التأليف المدرسي ـ بيروت

فيستمد منه عوالم جميلة يعوّض بها عن تقصير وقائع الحياة وتفاهية احداثها ، فاذا قدم لنا بعد ذلك ادبه ، شق علينا ان نميز فيه الحقيقي من الخيالي ، والواقعي من المتصور ، وكفانا ان نأخذ الاثر كلا متكاملا ، او نطرحه كذلك . من اجل هذا نرى الاديب الحقيقي يرفض الاجابة على من يسأله عن نصيب الواقع ونصيب الخيال في آثاره ، ويرد السؤال على السائل بقوله : « الا يكفيك ان تشعر بصدق الحياة فيما قرأت ؟ ذلك هو المهم ! »

« وصدق الحياة » هذا هو ايضا عنصر رئيسي في الاثر الادبي الناجح . وهو الذي يتطلب من الاديب ان يكون صريحا كل الصراحة حين يواجه مشكلات الحياة ويرسمها . وهنا يأتي الرد على المتزمتين الذين يرون ان للادب حدودا ينبغي الا يتجاوزها في تصوير المشكلات ، ولاسيما المشكلات الشائكة . ان من اخطر مهمات الادب أن يقتحم الاسوار التي تختفي وراءها الآفات وتتستر بها الامراض الاجتماعية . واذا كان الاديب مخلصا لفنه ولرسالته ، فلا مفر له من ان يعيش مشكلات مجتمعه، ان يحللها وان يتعمقها ، وليس معنى ذلك ان يلتمس لها الحلول ويفتش عن المخارج . ان ذلك من مهمة القادة والمصلحين الاجتماعيين . وحسب الاديب ان يصور ويرسم ، وان يوحي بعد ذلك ويلهم .

وحين يفعل الاديب ذلك ، يكون حقا « شاهد » عصره. ولا ريب في ان اعظم الادباء في مختلف الاداب العالمية ، هم الذين تبرز في آثارهم هذه الشهادة عن عصورهم او عن الحقبة التي عاشوها من هذه العصور . ذلك ان هذه الشهادة هي التي تتيح التاريخ الحقيقي للحياة الاجتماعية في فترة من الفترات ، فتشارك من جهة في التاريخ العام، وتتيح للتاريخ الادبي خاصة ان يقيّم الاثار الفكرية والادبية بالنسبة للمجتمع . وعلى ذلك تكون الشهادة هي الوسيلة المثلى لتتبع تطور الادب من جهة،وتطور الحياة الاجتماعية من جهة اخرى .

واهمية هذه « الشهادة » هي التي تبرر اعمق تبرير التعريف الذي بدأنا به هذه الكلمة من ان الادب هو الحياة .

سهيل ادريس

«الآداب» تقدم :

عددها السنوي الممتاز

في مطلع العام الجديد ١٩٦١

وهو عدد خاص بـ

النقد الأدبي

دراسات معمقة عن النقد الادبي وعلم الجمال وحالة النقد في الوطن العربي وفي بلاد الغرب ، مع نماذج نقدية مختلفة

عدد ممتاز تتابع به «الاداب» مشاركتها في تطوير المفاهيم الادبية ورفع مستواها في النتاج العربي المعاصر ..

يسهم فيه كبار النقاد والدارسين في مختلف الاقطار العربية

احجز نسختك منذ الان .